﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ [الرّوم 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مناسبة تفرّق أهل المحشر بالمصائر، مع وجود أهل الإيمان في روضات الجنان

لما كانت الآيةُ السّابقة إخبارًا عن التَّفَرُّق يوم القيامة بين المؤمنين والكافرين، جاءت هذه الآية لبَيان كَيْفيَّة هذا التَّفَرُّقَ، وتَفْصيل أحْوال الفَريقَيْنِ[1]، وإيضاح مآل أهل الإيمان، والعمل الصّالح، في الدّنيا، إلى روضات في الجنان، ذات بهجة ومتعة وجمال، يفوق الخيال، ينعّمون فيها بكلّ متعة متاحة، ويرشفون فيها لذائذ تلك الحياة المرفّهة الخالدة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَوۡضَةٖ﴾: (روض) أصلٌ يدُلُّ على اتِّساعٍ[2]، والرَّوضةُ: البُستانُ الَّذي هو في غايةِ النَّضارةِ والحُسْن، والرَّوْضَةُ: كُلُّ أرضٍ ذاتِ نباتٍ وماءٍ[3]، والمرادُ بها الجنَّةُ، والدّليل عليه قول الرَّسولِ ﷺ: «ما بَيْنَ بَيْتي ومِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الْجَنَّةِ، ومِنْبَري عَلَى حَوْضي»[4]، وفسّر البغويّ الرّوضة، بأنّها الْبُسْتانُ الَّذي في غايَةِ النضارة، وهم فيه يكرمون[5].

2) ﴿يُحۡبَرُونَ﴾: (حبر) أصلٌ يَدُلُّ على الأثَرِ في حُسنٍ وبَهاءٍ، والحَبْرةُ: السُّرورُ[6]، الحِبْرُ: الأثر المُسْتَحْسَن، والحَبْر: العالِم

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 14/ 354.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (روض).
(3) الرّاغِب، المفردات: (روض)، والكَفَوي، الكُلّيات: 1/ 405.
(4) الحديث أخرجه البخاريّ، الحديث رقم: (1196)، ومسلم، الحديث رقم: (1391)، والبغويّ، في شرح السّنة: 2/ 338.
(5) البغويّ، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 3/ 572.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حبر).

وجَمْعه: أحْبار، لِما يَبْقى مِنْ أثَر عُلومهم في قلوب النّاس، ومِن آثار أفعالهم الحَسَنَة المُقْتَدَى بِها[1]، والمراد: يُسَرّونَ ويُنَعَّمونَ، قال اللّيث: يحبرون ينعّمون، قال: والحبرة النّعمة، وقد حبر الرّجل حبرة وحبرا، فهو محبور، وقال المزار العدويّ:

قَدْ لَبِسْتُ الدَّهْرَ مِنْ أفْنانِهِ *** كُلَّ فنٍّ ناعِمٍ مِنْهُ حَبِرْ[2]

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيان عقبى أهل الإيمان والصّلاح، وهم مكرّمون في روضات الجنان

يُبَيِّن الله تعالى حال أهْل الإيمان آمنوا بقلوبهم، وصَدَّقوا ذلك بالأعمال الصّالحة المقبولة عِند رَبِّهم، فهُم في جَنَّة فيها سائر أنواع المُتَع، وأصناف المُشْتَهَيات، يُسَرّون بما ينالون فيها مِن النَّعيم الدّائم الّذي لا ينقطع أبدًا، ولا يحول ولا يزول، وعليه "فسيكونون في الآخرة في جنّة عظيمة، يسرّون بدخولها، سرورا عظيما، وينعّمون فيها نعيما لا يحيط به الوصف"[3].

وترشدُ الآيةُ إلى تقرير مبدأ السعادة يوم القيامة، فأهل الإيمان والتقوى في روضة يُسَرّون وينعَّمون بالمآكل اللذيذة، والأشربة، والحور الحسان، والخدم، والولدان، والأصوات المُطربات، والسماع المُشْجي، والمناظر العجيبة، والروائح الطيبة، والفرح والسرور واللذة والحبور[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في قوله: ﴿فَأَمَّا﴾:

أهميّة التّفصيل بَعْد الإجْمال، في الإفادة والبيان

الفاء تفريعيَّة، و(أمّا) حَرْف شَرْط وتفصيل[5]، وبيان هذا أنَّه تفصيل لِما أُجْمِل في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾،

(1) الرّاغِب، المُفردات: (حبر).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حبر).
(3) طنطاويّ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 11/ 72.
(4) السّعْدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 638، والجزائري، أيسر التفاسير: 4/ 165.
(5) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن: 7/ 480.

وقد أنْبَأت الفاءُ عن كلام محذوف، فهي فاء الفصيحة، والتَّقدير: إذا كان الأمر كذلك، فاستعِدّوا لِما استَعَدّوا بِه في ذلك اليوم مِن الأعمال الصّالحة؛ لِتَفوزوا بِما فازوا بِه مِن رَوْضات الجَنّات، ولِما تَخْلصون بِه مِن الشَّقاوة الأبَديَّة، والاستقرار في دَرَكات النّيران، باستغراق الأوقات في ذِكْر الله سبحانه، وطاعته الواجبة عليكم[1].

سِرُّ التّوطئة بحالِ المؤمنين، لذِكْرِ المُجرِمينَ:

حَسْرَة الكُفّار يَوْم القيامة بَعْد رُؤيتهم تَحَقُّق وعْد الله لِعباده المؤمنين

بُدِئَ بِذِكْر حال الَّذينَ آمَنوا مَعَ أنَّ المَوْضِعَ مَوْضِعُ ذِكْر المُجْرِمينَ؛ "وذَلِكَ لِأنَّ المُؤْمِنَ يوَصَلُ إلَيْهِ الثَّوابُ قَبْلَ أنْ يوَصَلَ إلى الكافِرِ العِقابُ، حَتّى يُرى ويُتَحَقَّقَ أنَّ المُؤْمِنَ وصَلَ إلى الثَّوابِ فيَكونَ أنَكى، ولَوْ أُدْخِلَ الكافِرُ النّارَ أوَّلًا لَكانَ يَظُنُّ أنَّ الكُلَّ في العَذابِ مُشْتَرِكونَ، فقَدَّمَ ذَلِكَ زيادَةً في إيلامِهِمْ"[2].

نكتةُ التَّعبير باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

تعليل الحُكْم مِن خلال جُمْلة الصِّلَة في السّياق

عُبِّر باسم الموصول في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لتعليل الحُكْم بِتَنَعُّم وسُرور المؤمنين في جَنَّة الخُلْد مِن خلال جُملة الصِّلة.

غرضُ تقديم الإيمان على العمل الصّالح:

الإيمان شَرْط قبول الأعمال

قُدِّم الإيمان على العمل الصّالح في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لأنَّه شَرْط قبول العمل، فلا عَمَل يُقْبل مهما كان صالحًا مِن دون الإيمان؛ فقُدِّم لأهميَّته.

سرُّ ذِكْر العَمَل الصّالِح مع المؤْمِن، دون العَمَل السَّيِّئ مع الكافِر:

لا يَبْلُغُ المُؤْمِنُ الدَّرَجَةَ العالِيَةَ إلّا بِالإيمانِ والعَمَلِ الصّالِح

ذَكَرَ في المُؤْمِنِ العَمَلَ الصّالِحَ، ولَمْ يَذْكُرْ في الكافِرِ العَمَلَ السَّيِّئَ؛ لِأنَّ العَمَلَ الصّالِحَ مُعْتَبَرٌ مَعَ الإيمان، فإنَّ الإيمانَ المُجَرَّدَ

(1) الطّيبي، فتوح الغيب، حاشية على تفسير الكَشّاف: 12/ 222، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 114.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 103.

مُفيدٌ لِلنَّجاة دونَ رَفْعِ الدَّرَجات، ولا يَبْلُغُ المُؤْمِنُ الدَّرَجَةَ العاليَةَ إلّا بِإيمانِه وعَمَلِه الصّالِح[1].

معنى (أل) في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

بيان السّياق لتنوّع أبواب الخير وكثرتها

(أل) للجِنس، وقد دَلَّت على أنَّ أهْل النَّعيم في الآخرة ما تركوا بابًا مِن أبواب الصّالحات في الدُّنيا إلّا وقد طرقوه، ولا عَملًا مِن أعمال الخير إلّا وقد بادروا إليه وعملوه، وهذا ما دَلَّ عليه التَّعبير بالجَمْع ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

دلالة نَظْمِ الجملة على الشّرطيّة:

شرط تحقّق موعود الله لعباده، مبين عن المقصود

أوْمَأ نَظْم الجملة على الشّرطيّة بدلالة الموصول على الشَّرْط، إلى تَحَقق الجزاء وثبوته، وموعود الله تعالى لعباده الصّالحين بالتَّنعيم في دار النَّعيم، فوْر تَحقّق العمل الصّالح، المُقترِن بالإيمان الرّاسخ بالله تعالى.

معنى الفاء والظَّرْفية في قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾:

استقرار المؤمنين في دار النَّعيم، من عطاء الله الكريم

الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ﴾ رابطة لِما في الموصول مِن ملمح الشَّرْط، ودَلَّ التّعبير بالظّرفيّة في قوله: ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾، على التَّمكن والاستقرار، فأهْل الإيمان والعمل الصّالح يوم القيامة، مُنْغَمِسون في النَّعيم، مُسْتَقِرُّون فيه، مُذَلَّل لَهم كُلُّ أنواع الطَّيِّبات.

نُكْتة دخول الفاء على الضَّمير المُنْفَصِل ﴿فَهُمْ﴾:

الإيمان والعمل الصّالح سَبَبٌ لِاستحقاقهم ذَلِكُمُ النَّعيم

أُدْخِل الفاء على الضَّمير المُنْفَصِل (هُمْ) في قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الإيمان والعمل الصالح سَبَبٌ لِاستحقاقهم ذَلِكُمُ النَّعيم بِمُقتَضى الوَعْد وإنْ كان تَفَضُّلًا في نَفْسِه[2]، وأفاد التَّعبير بالجملة الاسميَّة دوام استقرارهم في وسرورهم في نعيم الجَنَّة.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 103.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 15/ 113.

غرضُ تنكير ﴿رَوْضَةٍ﴾:

تفخيم شَأْن الجَنَّة، من بليغ البيان

وتَنْكيرُ ﴿رَوْضَةٍ﴾؛ لإبهام أمْرها وتَفْخيمه، والمُرادُ بِها الجَنَّةُ[1]، والرّوضة: هي المكان المليء بالخضرة والأنهار والأشجار والنّضارة، وقد نكّرها لأنّها مطلب النّفس البشريّة مهما كان نوعها أو وصفها، وخصوصًا أنّها مفقودة عند العرب، في البيئة الصّحراويّة القاسيّة، بالوادي غير ذي زرع، والبيئة الّتي يكسوها الجفاف، ولا تنتشر فيها حدائق رائعة، ولا رياض يانعة، فهم بذلك يحلمون بأيّة روضة دون تخصيص[2].

سِرُّ التّعبير بالمضارع ﴿يُحْبَرُونَ﴾:

أهل الجَنَّة يَتَقلّبون في نعيم دائم لا يَنْقطع

آثر النظمُ الكريمُ المضارع في ﴿يُحْبَرُونَ﴾ على اسم الفاعل: (مُحْبرون)؛ لدلالة المضارع على الاستمرار والتَّجَدُّد؛ إذ يوحي بأنَّ أهل الجَنَّة يَتَقلَّبون في نعيم دائم لا يَنْقَطع؛ إذ يَأْتيهِمْ كُلَّ ساعَةٍ ما يُسَرّونَ بِهِ، مِن مُتَجَدِّداتِ المَلاذِّ، وأنْواعِها المُخْتَلِفَةِ[3].

عِلَّة بناء الفعل ﴿يُحْبَرُونَ﴾ لما لم يسمّ فاعله:

بيان أنّ الغاية هي التّركيز على الحَدَث لا على فاعله

وبُنِي الفعل للمجهول في قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾؛ لأنَّ الغرض التَّركيز على الحَدَث أي الحُبور لا على فاعله؛ وأيضًا للإشارة إلى كَثْرة أسباب حُبورهم، والله أعلم بمراده.

سِرُّ التّقديم في الجارّ والمجرور:

التّعجيل بالبُشرى، مناسب لغرض السّياق

وقُدِّم الجار والمجرور على الفعل في قوله: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾؛ للتَّعجيل بالبُشْرى، ومعلوم أنّ النّفس تميل إلى المسرّة والتّكريم والإنعام، فكان تقديم الجارّ والمجرور ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾، علامة على مزيد من السّرور، والجنّة الغنّاء ذات الماء والاخضرار، تسهم في

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 10، والطيبي، حاشيته على تفسير الكشّاف: 12/ 220.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 113334.
(3) أبو حَيّان، البحر المحيط: 8/ 380، وابن عادل، اللّباب في علوم الكِتاب: 15/ 393.

زيادة المسرّة وتأصّلها في النّفس والفؤاد، ولذلك كان التّقديم بين شبه الجملة وجملة الفعل وفاعله بعدها.

نُكْتة حَذْف ما يُحْبَر به أهْلُ الجَنَّة في السّياق:

كَـثْرَة مَسـرّات أهـل الـجَـنَّـة، دليل على كثرة الألطاف

وحَذْف ما يُحْبَرُ به أهْلُ الجَنَّة، في قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾، أي يُسَرّونَ، بِعَدم ذِكْر ما يُسَرّونَ بِهِ؛ إيذانًا بِكَثْرَةِ المَسارِّ وتَنَوُّعها وتَعَدُّدها، بِما لا يَخْطر لَهم على بالٍ[1]؛ فإنَّ كَثْرَة مَسرّات أهل الجَنَّة، دليل على كثرة الألطاف.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحُبور والسُّرور:

الحـبـور يطلق عـلـى الـنّـعـمـة الـحـسـنـة، والسّرور انبساط لـتـحـصـيـل المرغوب

السُّرور: انبساط القلب، لِنَيْل محبوب أو توقّعه، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق 7 - 9] وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: 11]، والحُبور: هو النِّعْمَة الحَسَنة مِن قولك: حَبَّرْتُ الثَّوْب إذا حَسَّنْتَه، والسُّرور الّذي يَظْهَر في الوَجْه أثَره، فهو أشَدُّ السُّرور، ولذا خاطب سبحانه أهْلَ الجَنَّة بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزُّخرف: 70][2]، وعليه فالَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحات، في كمال الفرح، وتمام السّرور، لما حباهم الله تعالى من تمكّن في رَوْضَةٍ ذات أزهار رائعة، وأنوار ساطعة، وأنهار ذات أمواج متدافعة، تُدهِش الأنفس، وتأخذ بالأبصار، وهم لا يفتؤون، يتنزّهون في أرجائها، ويسعدون في جنباتها، ويتمتّعون بما فيها، ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 26.
(2) أبو هلال العَسكري، مُعْجم الفروق اللُّغَويّة، ص: 152.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»